

القوى الوندالية إبان العبور  
إلى إفريقيا الشمالية سنة 429م

محمد اللبار

Mohamed LEBBAR

**Les forces vandales au temps de la traversée  
vers l'Afrique du Nord en 429 ap. J.C**

**Résumé**

Genséric a pu conduire, vers le diocèse d'Afrique Romaine en 429 ap. J.C., sans aucun problème entravant son débarquement, sous la bannière des Vandales Hasdings, tous un amalgame de peuples: Vandales Hasdings et Silings, Alains, Suèves et Goths...

Et en traitant cette traversée des Vandales vers l'Afrique du Nord plusieurs érudits ont confondu par erreur ou intentionnellement l'effectif des passants avec celui des soldats qui ont conquis ce diocèse avec Genséric.

Cet article ne vise qu'à dénouer cette ambiguïté pour bien comprendre les causes profondes qui ont poussé Genséric à pencher au choix militaire afin d'établir la présence vandale en Afrique, et qu'à démontrer avec précision l'effectif de l'armée vandale et à étudier ses caractéristiques organisationnelles et guerrières.

**Vandal forces at the time of Sailing  
to North Africa in 429 AD**

**Abstract**

Under the banner of Asdingi Vandals King Geiseric was able to sail across and successfully settle in the Roman Africa diocese in 429 AD at the head of an amalgam of peoples: Asdingi and Silingi Vandals, Alani, Sueves, Goths, etc.

In Attending to the details of this crossing to the North Africa several scholars have mistaken (intentionally or accidentally) the number of passengers for that of the conquering troops led by Geiseric.

This paper will reconsider the factors that drove Geiseric to opt for a military solution and, concurrently, to establish with greater precision the size of vandal's army, as well as its warring and organizational characteristics.



## القوى الوندالية إبان العبور إلى إفريقيا الشمالية سنة 429م

محمد اللبار

شكلت القوات العسكرية الوندالية أحد أهم العوامل التي ساعدت الملك جنسريق<sup>(1)</sup> سنة 429م على سرعة اجتياح دوقية إفريقيا الرومانية. هذه القوات التي تميزت بحسن تنظيمها وفعالية خططها العسكرية واستغلالها للبنى التحتية المتوفرة بالمنطقة آنذاك. وهي ذاتها القوات التي تضاربت حولها المصادر والمراجع من جهة واختلف في تقييمها وتقدير أعدادها الكثير من الباحثين من جهة ثانية. ويهدف تسليط الضوء على هذه المسألة بالذات — باعتبارها مسألة ديموغرافية تاريخية تستحق كل الاهتمام والعناية — جاء الاعتماد على النصوص المصدرة وإعادة قراءتها بتؤدة وبطء في إطار محاولة منهجية موضوعية من شأنها أن تساعد على إجلاء الحقيقة التاريخية. إن الوندال بفرعيهم الهاسدينج Hasdings والسيلينج Silings شعب أكدت الأدلة المصدرة والأركيولوجية أن موطنه الأول كان في اسكندنافيا قبل القرن الأول للميلاد، وأنه عبر من هناك إلى الساحل الشمالي لجرمانيا الشرقية على بحر البلطيق حيث أقام إلى منتصف القرن الثاني للميلاد. ثم انطلق من هناك نحو وسط أوروبا بحثا عن الأمن وطمعا في الاستقرار، واستقر هناك زهاء قرنين ونصف — الهاسدينج في سهول هنغاريا والسيلينج في سيليزيا — قبل أن يعبر الفرعان معا صحبة الألان<sup>(2)</sup> Alains والسواف Suèves<sup>(3)</sup> نهر الراين إلى غاليا في مطلع سنة 407م، مقتحمين بذلك ولأول

<sup>1</sup> جنسريق Gensericus هو أول ملوك الوندال بإفريقيا الشمالية. ولد سنة 390/389م ودام حكمه ما بين سنة 429م ويناير سنة 477م.

<sup>2</sup> الألان Les Alains: شعب من أصل سرماتي أقام إمبراطورية امتدت ما بين جبال القوقاز وجبال الأورال ونهر الدون قبل انهيارها على يد الهون Les Huns سنة 370م. وبعد ذلك ساحت الألان في وسط أوروبا مع الهون أو مع القبائل الجرمانية واستقرت بعض فروعهم في بانونيا بجوار الوندال الهاسدينج.

<sup>3</sup> السواف Les Suèves شعب جرمني غربي كان مستقرا على سواحل بحر البلطيق الجنوبية إلى حوالي 170م. ثم نزح من هناك نحو جنوب جرمانيا حيث استقر في منطقة الدانوب الأعلى وسويسرا الحالية زهاء قرنين ونصف قبل عبوره نهر الراين.

مرة في تاريخهم الليمس الروماني. توغل الوندال والألان والسواف في غاليا حوالي ثلاث سنوات وغادروها بعد ذلك إلى إسبانيا في خريف سنة 409م. وظل الجميع هناك إلى أن قاد جنسريق شعبي الوندال والألان إلى إفريقيا عابرا بهم مضيق جبل طارق في ربيع سنة 429م<sup>(1)</sup>.

## 1- الوندال العابرون مع جنسريق

### 1- أصولهم

إن التحدث عن العابرين مع جنسريق إلى دوقية إفريقيا الرومانية انطلاقا من إسبانيا، لا يقتضي بطبيعة الحال الكلام عن إحصائهم، أي عن عدد هؤلاء العابرين فقط، بقدر ما يتطلب في الوقت ذاته طرح العديد من التساؤلات عن أصولهم وجنسهم وأعمارهم ومهامهم، دون إغفال الأهداف المتوخاة من وراء عملية الإحصاء في حد ذاتها.

أما عن أصول هؤلاء العابرين، فالأفيد هو الرجوع إلى حدود سنة 411م، سنة توزيع الولايات الإسبانية بين الغزاة الوندال - بفرعيهم الهاسدينج Hasdings والسيلينج Silings - والألان Alains والسواف Suèves، بعد ما قبلوا وضعية الحلفاء، ورضوا مهادنة السلطة الرومانية التي رضيت عنهم، وكلفتهم بحماية إسبانيا من أي اعتداء خارجي في مقابل استغلال أراضيها<sup>(2)</sup>. وذلك لفهم أن هؤلاء الغزاة اقتسموا على أساس القرعة أصقاع هذه الولايات الإسبانية فيما بينهم طمعا في إقامة هنية بها حسب تعبير إيزيدوروس<sup>(3)</sup> (توفي سنة 636 م)، ولنتتبع عن كثب ظروف إقامة كل شعب من هؤلاء في إسبانيا، وظروف انهيار ملوكية بعضهم لصالح البعض الآخر.

<sup>1</sup> - انظر التفاصيل عن ظروف تطلع الوندال لاجتياح إفريقيا الشمالية في الفصل الثالث عند اللبار، محمد، دخول الوندال إلى إفريقيا الشمالية 429-442م، رسالة د.د.ع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرز فاس، 1990، مرقونة، صص. 149-189.  
<sup>2</sup> - Schmidt Ludwig, *Histoire des Vandales*, Tr. Fr., Paris, Payot, 1953, p. 30.

- Gautier Ernest-Félix, *Genséric Roi des Vandales*, Paris, Payot, 1951, p. 102.

<sup>3</sup> - Isidorus, *Historia Wandalorum*, 73, M. G. H. A. A., T. XI, p. 296.

- محمد اللبار، تاريخ الوندال للمؤرخ إيزيدور الإشبيلي: تقديم وترجمة عربية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، العدد 5، 1995، ص. 146.

ذلك أن القرعة - حسب هيداتيوس (ت. 470م) وإيزيدوروس - قد أعطت للوندال الهاسدينج وللصواف ولاية جليقيا، وجعلت ولايتي القرطاجنية ولوزيطانيا من نصيب الألان، ومنحت الوندال السيلينج ولاية بتيكا<sup>(1)</sup>. (انظر الخريطة رقم 1).

ومعلوم أن دوقية إسبانيا كانت تشمل ومنذ نهاية القرن الرابع للميلاد سبع ولايات ذكرتها كلها لائحة بوليميوس سلفيوس في حدود سنة 385م<sup>(2)</sup>. وهذه الولايات السبع هي، زيادة عن الأربع المذكورة في نص هيداتيوس وإيزيدوروس:

\* الولاية الطراكونية التي ظلت بيد الرومان<sup>(3)</sup>.

\* ولاية جزر البليار، التي تكونت بعد سنة 369م<sup>(4)</sup>.

\* ولاية موريطانيا الطنجية التي، وإن كانت جغرافيا في إفريقيا

الشمالية، ارتبطت إداريا ومنذ عهد الأمبراطور دقليانوس بدوقية إسبانيا في حدود سنة 293م، بعدما تقلصت مساحتها لتقف حدودها الجنوبية مبدئيا عند نهر اللكوس<sup>(5)</sup>. لكي تصبح بذلك ولاية واقية لدوقية إسبانيا من خطر احتمال قيام الموريين باجتياحها أو مهاجمتها على الأقل، وذلك عقب تصاعد الضغط الموري على حدود دوقية إفريقيا بصفة عامة، وحدودها بصفة خاصة.

والراجح أن ظروف الاجتياح، وما ترتب عنها من الفوضى والاضطراب في عموم دوقية إسبانيا ولاياتها، عملت على تغيير الخريطة السياسية والإدارية لهذه الدوقية رأسا على عقب، ذلك أن ولاية جزر البليار قد ألغيت وألحقت إدارتها مباشرة بالولاية الطراكونية حسب إشارة وردت

<sup>1</sup> - Hydatius, *Chronica*, 49, M.G.H.A.A., T;XI, p. 18.

- Isidorus, *His. Wand.*, 73, *ibid*, p. 296.

<sup>2</sup> - Polemius Silvius, *Laterculus*, 4, M. G. H. A. A., T. IX. pp. 538-539.

<sup>3</sup> - Marcus Louis, *Histoire des Wandalis*, Paris, 1836, p. 84.

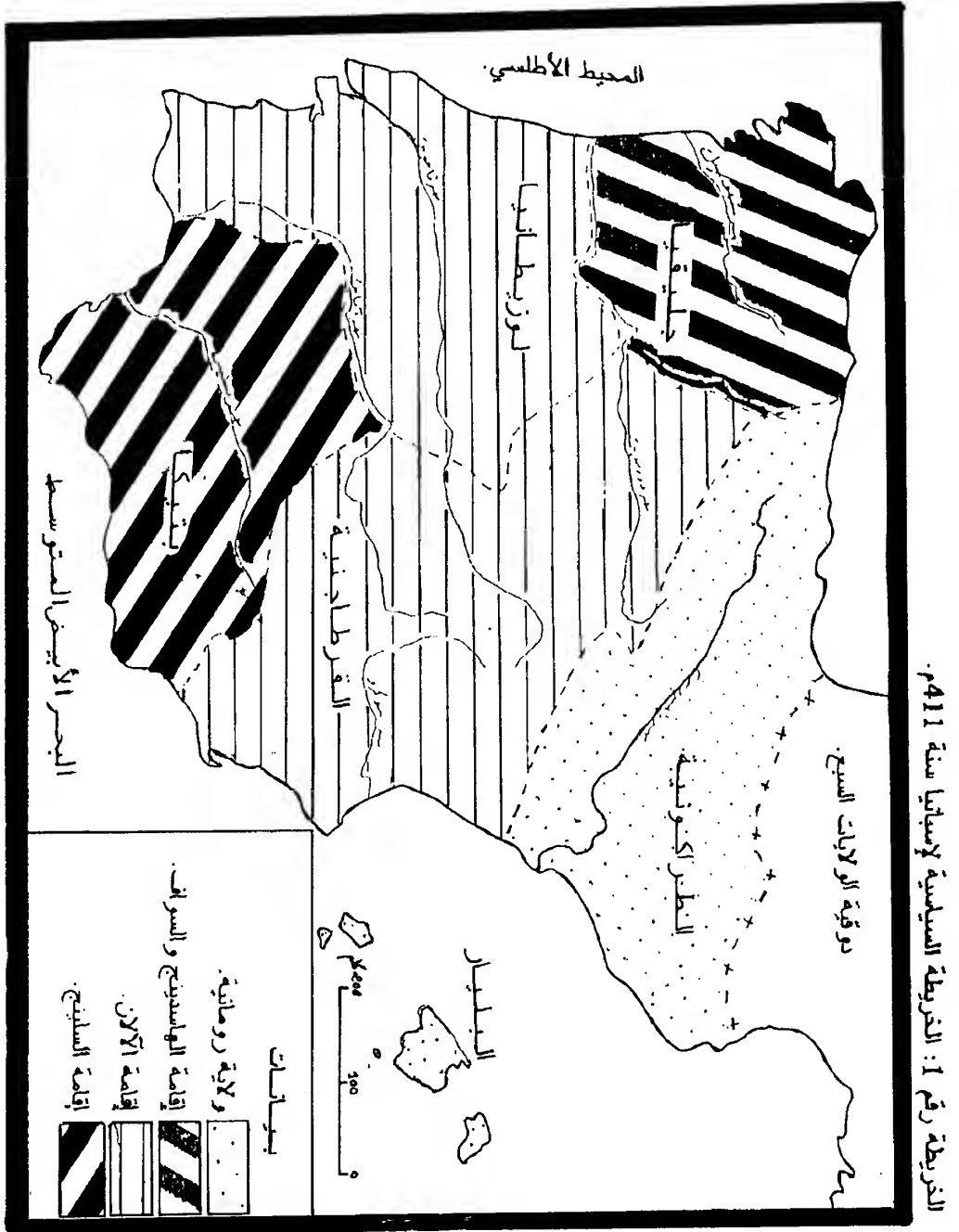
<sup>4</sup> - Albertini, *Les divisions administratives de l'Espagne romaine*, Paris, 1923, p. 123.

<sup>5</sup> - *Laterculus Veronensis*, a. 297, d'après IDEM, *Ibid*, p. 118.

- Carcopino, Jérôme, *le Maroc Antique*, Gallimand, 10<sup>ème</sup> édi., 1948, pp. 231-234 et pp. 244-257.

- Thouvenot, Raymond, *Compte rendu du Maroc Antique de Carcopino*, *Hesperis*, T. XXXVIII, 3é-4é Trim., 1951, pp. 468-476.

عند إيزيدوروس<sup>(1)</sup>.



<sup>1</sup> - Isidorus, His, Wand., 73, M. G. H. A. A., T. XI, p. 296.

كما ألحقت - في نفس الظروف - ولاية موريطانيا الطنجية بشقيقاتها ولايات دوقية إفريقيا إداريا وعسكريا انطلاقا من سنة 411م<sup>(1)</sup>، لكي تصبح هي الولاية الواقية لدوقية إفريقيا من خطر الوندال المقيمين آنذاك في إسبانيا. بل أكثر من ذلك تصور بعض الباحثين أن منصب كونت موريطانيا الطنجية - الذي كان قد أحدث ضمن الإصلاحات الدفليانوسية - قد ألغي نهائيا آنذاك<sup>(2)</sup>، وتقلد كونت إفريقيا قيادة الجيش الروماني في الولايات الإفريقية السبع واتخذ سبتة مقرا له<sup>(3)</sup>. هذا الكونت الذي فوضت له صلاحيات واسعة للنظر في الشؤون العسكرية والمدنية لعموم إفريقيا من الطرابلسية شرقا إلى البوغاز غربا<sup>(4)</sup>. (انظر الخريطة رقم 2).

ومما يعزز هذا الرأي، ما ذكره بروكوبيوس (ق. 6 م)، من أن الإمبراطورة كالا بلاكيديا<sup>(5)</sup>

Gala Placidia قد عينت سنة 423 م بونيفاكوس<sup>(6)</sup> Bonifacius في منصب الكونت على عموم ليبيا. علما أن لفظة ليبيا - في استعمالات المؤرخين الإغريق، والذين نهجوا على شاكلتهم كبروكوبيوس مثلا - كانت تدل على مجموع إفريقيا إلى حدود مضيق جبل طارق<sup>(7)</sup>.

<sup>1</sup> - Marcus, H. W., op. cit., p. 143.

- Courtois, Christian, Les Vandales et l'Afrique, Paris, 1955, pp. 10 - 11.

<sup>2</sup> - Demougeot, Etienne, La notitia dignitatum et l'histoire de l'empire d'Occident au début du Vème siècle,

Latomus, XXXIV, 1975, p. 1115.

<sup>3</sup> - سالم، عبد العزيز، تاريخ المغرب الكبير، ج 2، العصر الإسلامي، بيروت 1981، ص. 2.

<sup>4</sup> - Gibbon, Edward, Histoire du declin et de la chute de l'empire romain, T I, éd. Robert Laffont, 3<sup>ème</sup> réimpression, Paris, 1995. p. 982.

- Schmidt, H. V., op. cit., pp. 57 - 58.

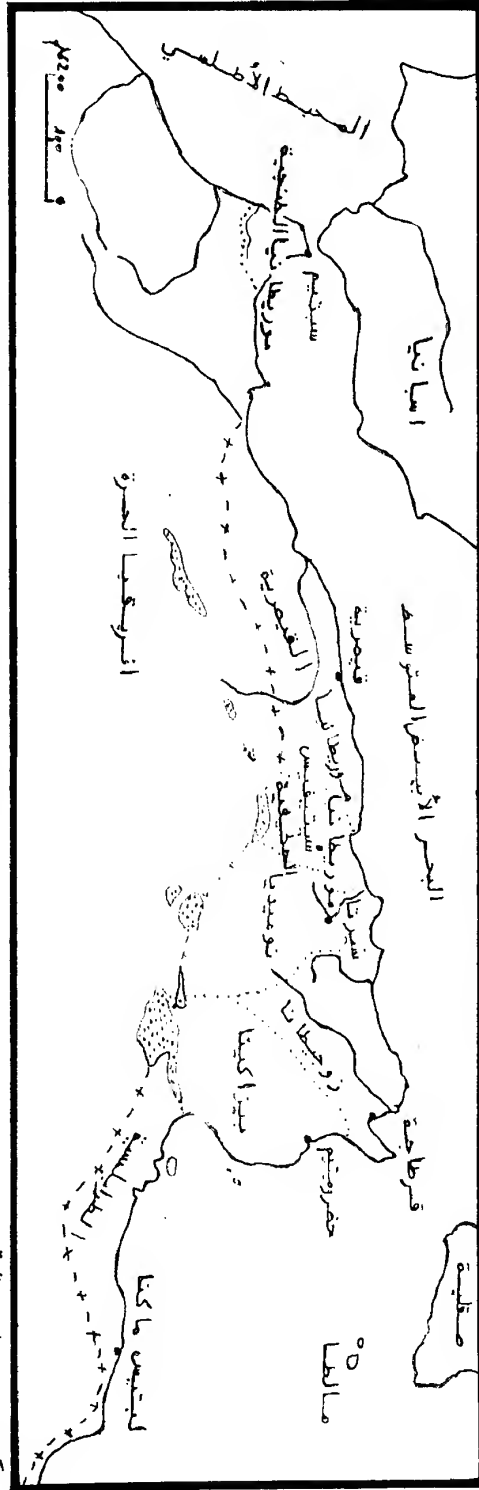
<sup>5</sup> - كالا بلاكيديا: أخت الإمبراطور الروماني الغربي هونوريوس، وأم الإمبراطور الصغير فالنتينيان الثالث 423-455م والوصية على عرشه ما بين 429-450م.

<sup>6</sup> - بونيفاكوس قائد روماني من أصل اشكوزي Scythe، ولد في تراقيا، تقلد عدة مهام عسكرية في غاليا وجنوب نوميديا قبل أن يعينه الإمبراطور هونوريوس في منصب كونت إفريقيا حوالي سنة 422م. وظل يشغل هذا المنصب إلى أن نزل الوندال بإفريقيا سنة 429م فحاربهم وانهزم.

<sup>7</sup> - Procopius, B. V., I, III, 16, 22 et 26, éd. Dewing, p. 27, p. 29 et 31.

الخريطة رقم: 2. دوقية إفريقيا تحت إمرة الكونت بونيفاكوس قبل الغزو الوندالي للمنطقة.

- مجارى عذبة
- شطوط
- خط الاليس
- حدود الولايات
- عاصمة ولاية





والجدير بالملاحظة في هذا المقام أن التنظيمات الرومانية وإن كانت قد حددت رسميا دوقية إفريقيا بامتدادها على هذه الولايات الإفريقية السبع، فإن هذه الدوقية فعليا — على أرض الواقع — كانت قد فقدت تدريجيا — ما بين سنة 411م وسنة 429م — تحت حدة ضغط الثورة المورية العارمة وتأثير الضغط الثوري للدوناتيين والدوارين وكل المستائين، كانت قد فقدت كل ولاياتها الغربية: أي الموريطانيات الثلاث. ولا أدل على ذلك من كون الوندال عند نزولهم بإفريقيا خلال شهر مايو 429م لم يجدوا أية صعوبة في التقدم — بمساعدة وسند الموريين لهم، ودون أدنى مقاومة رومانية — نحو شرق الدوقية، حيث لم يصطدموا مع بونيفاكوس إلا في ربيع سنة 430م عند أبواب ولاية زوجيتانا<sup>(1)</sup>.

هذا وقد مال أكثر من باحث إلى تفسير استحواذ الألان على ولايتين كبيرتين في إسبانيا بغلبتهم هناك على غيرهم من الشعوب الباربارية<sup>(2)</sup>. كما أكدت ذلك إشارة عابرة أوردها هيداتيوس<sup>(3)</sup>.

وما إن تولى واليا<sup>(4)</sup> Wallia عرش القوط الغربيين في غاليا سنة 415م، حتى بادر إلى عقد اتفاق مع الأمبراطور هونوريوس<sup>(5)</sup> Honorius سنة 416م، يقوم واليا بمقتضى بعض بنوده بتحرير إسبانيا من غزاتها الوندال والألان والسواف، مقابل أن تمد الأمبراطورية الرومانية شعب القوط ببعض المساعدات الغذائية وأن تسلم لملكهم ولاية أكيثانيا<sup>(6)</sup>.

وتنفيذا لهذا الاتفاق، زحف واليا بصفته الحليف الجديد للأمبراطورية، انطلاقا من غاليا، على الألان في القرطاجنية ولوزيطانيا، وعلى الوندال

<sup>1</sup> - IDEM, B.V., I, III, 31, Ibid, p. 32.

<sup>2</sup> - Gautier, G. R. V., op. cit., p. 102.

- Schmidt, H. V., op. cit., pp. 30-31.

<sup>3</sup> - Hydatius, Chronica, 68, M. G. H. A. A., T. XI, p. 19.

<sup>4</sup> - واليا: ملك قوطي غربي (415-420م) قبل اقتراح الامبراطورية الرومانية بأن يستقر هو وشعبه في جنوب غاليا حيث مكنه الرومان من ولايتي أكيثانيا الثانية ونوفوبولانيا. وهو أول من اتخذ مدينة تولوز عاصمة للقوط الغربيين.

<sup>5</sup> - هونوريوس أول أباطرة الأمبراطورية الرومانية الغربية دام حكمه من وفاة والده ثيودوز الأول سنة 395م إلى وفاته سنة 423م. عمل على تشتيت قوة القبائل والشعوب الجرمانية بإذكاء نار الفتنة والحروب بينهم.

<sup>6</sup> - Martroye Félix, Genséric, La conquête Vandale en Afrique et la destruction de l'empire d'occident, Paris, 1907, p. 97.

- Bleye (Aguado), Manuel de la Historia de Españâ, Madrid, 1947, p. 338.

السيلينج في بتيكا<sup>(1)</sup>، ففضى عليهم تدريجيا. وهكذا استدرج واليا ملك السيلينجيين فريدبالوس Fredebalus بالحيلة سنة 416م، وبعثه أسيرا إلى الأمبراطور هونوريوس<sup>(2)</sup>، ثم قضى بعد ذلك على جنده نهائيا وأبادهم بالتقتيل سنة 418م<sup>(3)</sup>، وانحازت البقية السيلينجية إلى الوندال الهاسدينج<sup>(4)</sup>.

وخلال نفس السنة - أي 418م - ألحق واليا بالآلان عدة هزائم ساحقة متوالية، أضعفت شوكتهم، وقللت عددهم لدرجة أن اضطروا، بعد مقتل ملكهم أداكس Addax، إلى التخلي عن اختيار ملك من بينهم ودخلوا طوعا - على غرار السيلينجيين - تحت لواء ملك الهاسدينج آنذاك جندريكوس Gundericus<sup>(5)</sup>، الذي أصبح من يومها يلقب بملك الوندال والآلان Rex Wandalarum et Alanorum كما رجع ذلك الباحث شमित<sup>(6)</sup>، على الرغم من أن النصوص القديمة لم تستعمل هذا اللقب إلا منذ عهد خلفه جيزريكوس Rex Wandalarum et Alanorum Geisericus<sup>(7)</sup>. الذي سيشتهر في معظم الأبحاث الأخيرة باسم جنسريق.

هذا وتحديث المصادر أيضا عن انضمام بعض القوط - إثر خذلانهم للقائد الروماني كاستينوس<sup>(8)</sup> Castinus سنة 421م - إلى صفوف الوندال الهاسدينج<sup>(9)</sup>.

كما طلعت علينا الأركيولوجيا بنقيشة شاهد قبر في مدينة هيبوريجيوس (عنابة بالجزائر)، تفيد بأن هذا القبر يضم رفاة سيدة سوافية حرة خلد زوجها اسمها وطيبوبتها على هذا الشاهد إكراما لها<sup>(10)</sup>. مما يفهم منه أن بعض

<sup>1</sup> - Hydatius, *Chronica*, 60, M. G. H. A. A., T. XI, p. 19.

<sup>2</sup> - idem, 62, *ibid*.

<sup>3</sup> - idem, 67, *ibid*.

<sup>4</sup> - Leclercq Dom. H., *L'Espagne Chrétienne*, Paris, 1904, p. 219.

- Marcus, H. W., *op. cit.*, p: 109.

<sup>5</sup> - Hydatius, *Chronica*, 68, M. G. H. A. A., T. XI, p. 19.

<sup>6</sup> - Schmidt, H. V., *op. cit.*, p. 34.

<sup>7</sup> - Prosper Tiro, *Chronica*, a. 455, M.G. H. A. A., T. IX, p. 487.

<sup>8</sup> - كاستينوس: قائد أعلى للجيش الروماني الغربي في عهد الامبراطور هونوريوس، كلف بمحاربة الوندال في إسبانيا منذ 421م، فكانت الدائرة عليه وانهزم فأسحا لملك الهاسدينج جندريق آنذاك فرصة اكتساح ولايتي بتيكا والقرطاجنية.

<sup>9</sup> - Hydatius, *Chronica*, 77, M. G. H. A. A., T. XI, p. 20.

<sup>10</sup> - Inscription n° 267, Année Epigraphique, 1951, d'après Courtois, V. A., Appendice II, Insc. n° 70, p. 375.

السوافيين كذلك كانوا ضمن الحشود التي عبرت مع جنسريق إلى إفريقيا. كما يستفاد من شهادة لبروسبيرتيرو (ق. 5 م) أن بعض الإسبان، الذين كانوا في خدمة الأسرة الملكية الوندالية في إسبانيا، قد عبروا مع الوندال إلى إفريقيا<sup>(1)</sup>.

وجاء بوسيديوس (ق. 5 م) وحده دون غيره ملخصا كل هذه الأحداث والتأويلات حين ذكر أن حشودا من الوندال والآلان ومن اختلط بهم من القوط وغيرهم من الباربار قد تسلطوا بإرادة ربانية على إفريقيا<sup>(2)</sup>. وأخبرنا بروكوبيوس عن مدى حالة انصهار هذه الشعوب الباربارية تحت راية جنسريق، فقال ما معناه أنهم رضوا جميعا بأن يحملوا اسم الوندال<sup>(3)</sup>.

وعليه، فالأكيد أن جواز الوندال إلى إفريقيا لم يكن حملة وندالية صرفة - إلا من حيث المشروع والتأطير - بقدر ما كان زحفا بارباريا، ساهمت فيه واستفادت منه عناصر من الوندال بفرعيهم ومن الآلان والقوط والسواف وغيرهم من الجرمان والإسبان على حد سواء.

## 2- إحصاء العابرين

أما عن عدد الحشود العابرة مع جنسريق، فقد ذكرها بصريح العبارة فكتوردي فيثا (ق. 5 م) وهو يتكلم عن إحصاء شامل وعام لكافة العابرين إلى إفريقيا، دون استثناء، بعد جواز البحر، مؤكدا أنه:

« ... ilico statuit omnem multitudinem numerari, quam huic luci ad illam usque diem uterus profuderaventrīs. Qui reperti sunt senes, juvenes, parvuli, servi vel domini octoginta millia numerati. »

"تقرر مباشرة آنذاك إحصاء كل الحضور وكل من أنجبتهم البطون لحد ذلك اليوم. فكان عدد من أحصى من العجزة والشباب والأطفال، والعبيد

<sup>1</sup> - Prosper Tiro, *Chronica*, 1329, a. 477, M.G. H. A. A., T. IX, pp. 475-476.

<sup>2</sup> - Possidius, *Vita Augustini*, XXVIII, éd. H. T. Weiskotten, Londres, 1919, p. 112.

<sup>3</sup> - Procopius, *B. V.*, I. V., 21 éd. Dewing, p. 53.

والأسبياد، ثمانين ألفاً<sup>(1)</sup>».

وذلك ما يفهم منه أن الإحصاء شمل كل الحاضرين من العجزة والشبان والأطفال والعبيد والأسبياد، ذكورا وإناثا<sup>(2)</sup>.

وقد عزز هيداتيوس هذا الرأي عندما ذكر أن جنسريق عبر من ساحل بتيكا، نحو موريطانيا وإفريقيا، ومعه كل الوندال وعائلاتهم خلال شهر مايو 429م<sup>(3)</sup>. وأيد إيزيدوروس بدوره هذا الرأي مؤكدا أن جنسريق عبر انطلاقا من سواحل بتيكا بكل الوندال وعائلاتهم إلى موريطانيا وإفريقيا<sup>(4)</sup>.

أما عن عملية الإحصاء في حد ذاتها فقد أشار فكتوردي فيتا صراحة إلى أن الأهداف التي توخاها جنسريق منها قد أنتت أكلها بسبب ما شاع في عموم إفريقيا حول ضخامة أعداد الجند الونداليين الزاحفين<sup>(5)</sup>، بهدف إضفاء الصيت العظيم عليهم ونشر الرعب في الأوساط الرومانية<sup>(6)</sup>. بل أكثر من ذلك نرجح أن يكون من ضمن الأهداف المتوخاة من هذا الإحصاء، كذلك، ضبط عدد العناصر القادرة على حمل السلاح من بين كل الحضور تحسبا للطوارئ، واستعدادا للزحف على إفريقيا الرومانية بروح معنوية مرتفعة. ولا أدل على ذلك من كون فكتوردي فيتا نفسه يقول مباشرة بعد ذكره للعدد ثمانين ألفا:

« *Qua opinione divulgata, usque in hodiernum a nescientibus armatorum tantus numerus aestimatur cum sit nunc exiguus et infirmus.* »

"وشاع هذا الخبر. ولا يزال العامة إلى يومنا هذا يعتقدون أن عدد الجنود كان مرتفعا على الرغم من أن عددهم اليوم قد أصبح ضعيفا جدا<sup>(7)</sup>". وإذا تذكرنا أن فكتوردي فيتا قد دون مؤلفه بعد حوالي ستة عقود من

<sup>1</sup> - Victor de Vita, *H. P. V.*, I, 2, M. G. H. A. A., T. III, 1, p. 2.

<sup>2</sup> - Mercier Ernest, *Histoire de l'Afrique Septentrionale depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête*

*française*, T. I, Paris, 1888, p. 143. - Martroye, *Genséric*, op. cit., p. 104 et p. 219. - Schmidt, *H. V.*, op. cit.,

p. 42. - Gautier, *G.R. V.*, op. cit., p. 299. - Courtois, *V. A.*, op. cit., p. 216. - Stein, *Histoire du Bas-empire*,

T. I, Paris, 1959, p. 320. - Carcopino, *Profils de conquérants*, Paris, 1961, p. 369.

<sup>3</sup> - Hydatius, *Chronica*, 90, M. G. H. A. A., T. XI, p. 21.

<sup>4</sup> - Isidorus, *His. Wand.*, 74, *Ibid.*, p. 297.

<sup>5</sup> - Victor de Vita, *H. P. V.*, I, 2, *Ibid.*, T. III, 1, p. 2.

<sup>6</sup> - Leclercq, *L'Afrique Chrétienne*, T. II, Paris, 1904, p. 145.

<sup>7</sup> - Victor de Vita, *H. P. V.*, I, 2, M. G. H. A. A., T. III, 1, p. 2.

تاريخ دخول الوندال إلى إفريقيا الشمالية، ندرك لامحالة طول المدى الزمني الذي استغرقه تأثير هذا الإحصاء على عقول العامة. بهذا كله نكون قد وقفنا على البنية البشرية للعابرين من خلال اختلاف أصولهم وطبقاتهم أسيادا وعبيدا، وصورنا الهرم النسبي لأعمارهم ذكورا وإناثا، وأدركنا ما قد يؤدونه من المهام المدنية والعسكرية. وفي هذا المقام ولا بد أن نسجل سبق استعانة جنسريق بالإحصاء، وانتباهه لدوره في حد ذاته كواحد من أعمدة التنظيم وحسن التدبير، وكأداة من أدوات الضبط والدعاية الهادفة إلى رفع معنوية الغزاة ونشر الرعب في صفوف الأعداء.

## II- الجيش الوندالي إبان الزحف

### 1- العدد

إن الوندال بعد جوازهم بوغاز جبل طارق في مايو 429م<sup>(1)</sup> ونزولهم بالقصر الصغير<sup>(2)</sup>، وبحكم تشبثهم بفكرة الإستيلاء على إفريقيا الشمالية لم يكن أمامهم - والبحر من ورائهم - إلا الخيار العسكري لفرض وجودهم هناك. ولضمان انتصارهم في هذا الخيار كان لا بد لهم من الإعتماد على قوتهم العسكرية بصفتها أداة فعالة للغزو والهيمنة<sup>(3)</sup>، ضمنت لهم إلى حد كبير - مع بعض وسائل الغزو الأخرى<sup>(4)</sup> - إقامة مملكة وندالية في إفريقيا.

<sup>1</sup> - Hydatius, *Chronica*, 90, M. G. H. A. A., T. XI, p. 21.

- Isidorus, *His. Wand.*, 74, Ibid., p. 297.

- IDEM, *Chronica*, 377, ibid., p. 472.

<sup>2</sup> - Carcopino, *P. C.*, op. cit., p. 369.

- Morazzani, A, *Essai sur la puissance maritime des Vandales*, B. A. G. B., T. XXV, 4ème série, Déc.

1966, p. 546.

<sup>3</sup> - Gautier, *G. R. V.*, op. cit., pp. 105-109.

<sup>4</sup> - فعلا استفاد الوندال من عدة عوامل أخرى ساعدتهم على الإنتصار السريع على الرومان في إفريقيا الشمالية، يذكر منها على الخصوص عاملان، أولهما حسن استغلال جنسريق لضعف القوات الرومانية في المنطقة، وثانيهما نهجه لسياسة متميزة إزاء الموريين ضمنت مساندتهم له. وللمزيد من التفاصيل انظر: اللبار محمد، *إفريقيا الوندالية بين الحملات البيزنطية والثورات المورية 429-534م*، أطروحة دكتوراه الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس فاس، 1998، مرقونة، ص. 34-68. ونفسه، الموقف الموري من الزحف الوندالي سنة 429م، مجلة "المصباحية"، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس فاس، العدد 4، 2000، ص. 27-43.

وأمام الكتمان الذي ضربه جنسريق على عدد جنود جيشه، رغم ما أشاعه إحصاؤه حول عددهم المرتفع، وأمام تقصير كافة المصادر في تقدير عدد الجنود الوندال الزاحفين على إفريقيا الشمالية، ونظرا للالتباس الذي وقع فيه العديد من الباحثين - وهم يخلطون بين الشعب والجيش، طلعت علينا الأبحاث الحديثة بتقديرات متفاوتة جدا حول عدد هذا الجيش الوندالي في هذه المرحلة بالذات.

أما أضخم الأعداد لهذا الجيش فهي 50.000 مقاتل<sup>(1)</sup>، و 60.000 مقاتل<sup>(2)</sup>، و 80.000 مقاتل<sup>(3)</sup>. والظاهر أن أصحابها كانوا يخلطون بين جيش جنسريق بعد سنة 455م، وبين الشعب الوندالي سنة 429م، إذ كان اعتمادهم حرفيا ودون تمحيص - على بروكوبيوس، الذي لم يميز - في مؤلفه - بين مفهوم "قائد الألف" Χιλιαρχος (Chiliarque) عند الإغريق، الذين كان يدون بلغتهم ومفاهيمهم<sup>(4)</sup>، وبين مفهوم "قائد الألف" Taihun hundafath عند الوندال<sup>(5)</sup>. علما أن "قائد الألف" عند الوندال كان يرأس وحدة سياسية اجتماعية قوامها ألف نسمة بمن فيهم من الرجال والنساء، والشيوخ والأطفال، والأسياذ والعبيد، والمدنيين والعسكريين على حد سواء<sup>(6)</sup>. وعلمنا كذلك أن عادة الجرمان عموما أن يعتمدوا في تكوين جيشهم على الرجال الأحرار القادرين على حمل السلاح من بين كل وحدة سياسية اجتماعية<sup>(7)</sup>، هؤلاء الرجال الأحرار الذين كانت نسبتهم في الواقع لا تتعدى خمس أو ربع تعداد هذه الوحدة. مما يجعل تحت إمرة "قائد الألف" فرقة عسكرية مسلحة قوامها ما بين 200 و 250 مقاتل<sup>(8)</sup>، أو 300 مقاتل على أكبر تقدير.

<sup>1</sup> - Yanoski, Jean , Histoire de la Domination des Vandales en Afrique, Paris, 1844, p. 10. - Mercier, La population indigène de l'Afrique sous la domination romaine, vandale et byzantine, Paris, 1896, p. 173.

<sup>2</sup> - Essakali Larbi, les Marocains en Amerique, Memorial du Maroc, T. I., Rabat, 1983, p. 282.

<sup>3</sup> - Seeck, Geschichte des unterganges der antiken welt, T. VI, 1921, p. 416 d'après Lot, et autres, Histoires du Moyen-âge, T. I, Paris, 1928, p. 56, n 10. - Audollent, A, Carthage romaine, Paris, 1901, p. 356.

<sup>4</sup> - Procopius, B. V., I. V., 18- 19, éd. Dewing, p. 52.

<sup>5</sup> - Marcus, H. W., op. cit., Notes, p. 37, n 57.

<sup>6</sup> - Courtois, V. A., op. cit., p. 232, n2.

<sup>7</sup> - Musset, Lucien, Les invasions, T. I, , éd. Nouvelle Clío, P. U. F. Paris, 1969, p. 236.

<sup>8</sup> - Courtois, V. A., op. cit., p. 232, n 2.

وبالوقوف على نص بروكوبيوس الذي يتحدث فيه عن عدد الجيش الوندالي - بعد حملة جنسريق على روما سنة 455م - وهو النص الذي وظفه مجموعة من الباحثين للحديث عن عدد الجيش في سنة 429م، خطأ أو عمدا<sup>(1)</sup>، نفهم أن بروكوبيوس نفسه كان يدرك ما انطوى عليه فعل جنسريق من تنظيم الجيش تحت إمرة ضباط باسم "قادة الألف" من الخدعة للرأي العام، ليشيع بين الناس أن عدد جنوده آنذاك ثمانون ألف مقاتل. كما نفهم من النص نفسه أن بروكوبيوس لم يقتنع ولم يصرح بأن "قائد الألف" الوندالي كان يقود ألف مقاتل، يقول النص:

Τους δε δη Βανδιλους τε και Αλανους ες λοχους καταστησαμενος, λοχαγους αυιους επεστησεν ουχ ησσον η σγδοηκοντα, ουσπερ χιλιαρχους ε καλεσε, δοκησιν παρεχων ες οκτω οι μυριαδας συνιεναι τον των στρατευομενων λεων. Καιτοι ου μαλλον η ες μυριαδας πεντε το των Βανδιλων τε και Αλανων πληθος εν γε τω πριν χρονω ελεγετο ειναι.

"عمد هذا الملك (جنسريق) إلى تنظيم الوندال والآلان في فرق وجعل عليها ثمانين قائدا سماهم "قادة الألف" ليشيع بين الناس أن تحت رايته ثمانين ألف مقاتل. في حين يقال إن عدد الوندال والآلان فيما مضى لم يتعد الخمسين ألفا"<sup>(2)</sup>.

وبناء على ما سبق، وانطلاقاً من نتائج الإحصاء الذي قام به جنسريق لشعبه - لما نزل بأرض إفريقيا سنة 429م - تلك النتائج التي حصرت عدد هذا الشعب في ثمانين ألف نسمة<sup>(3)</sup>، نستنتج أن عدد الجند منهم لم يكن ليتجاوز آنذاك 20.000 مقاتل على أكبر تقدير. وهذا العدد لانراه يختلف كثيراً عن الأعداد التي اقترحها بعض الباحثين وهي: 16.000 مقاتل<sup>(4)</sup>، 15.000 مقاتل<sup>(5)</sup>، 15.000 - 20.000 مقاتل<sup>(6)</sup>، 10.000 - 15.000 مقاتل<sup>(7)</sup>، 12.000 - 15.000 مقاتل<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> - انظر الهوامش 49-50-51.

<sup>2</sup> - Procopius, B. V., I. V., 18- 19, éd. Dewing, p. 52.

<sup>3</sup> - Victor de vita, H. P. V., I, 2, M. G. H. A. A., T. III, 1, p. 2.

<sup>4</sup> - Martroye, Genséric, op. cit., p. 104. - Schmidt, H. V., op. cit., p: 182. - Stein, H. B. E., T. I., op. cit., p. 320.

<sup>5</sup> - Julien Charles André, Histoire de l'Afrique du Nord, T. I., 2ème éd., Paris, Payot. 1951, p. 236.

<sup>6</sup> - Courtois, V. A., op. cit., p. 230.

<sup>7</sup> - Carcopino, P. C., op. cit., p. 369.

أما إذا رجعنا إلى بروكوبيوس وهو يقول حرفيا "إن عدد الوندال والآلان فيما مضى لم يتعد الخمسين ألفا"<sup>(2)</sup>، وسمحنا لأنفسنا بأن نرجح أن قوله "فيما مضى" يعني إبان الغزو سنة 429 م، فإن عدد الجنود الوندال لم يتعد 12.500 مقاتل.

## 2- التنظيم

أما عن تنظيم الجيش الوندالي في هذه الظروف العصيبة من تاريخهم، وهم مقبلون على الزحف على إفريقيا الرومانية، فالأكيد أن جنسريق كان القائد الأعلى والمسؤول الأول في كل المعارك والمواجهات طبقا للأعراف الجرمانية<sup>(3)</sup>. خاصة وأنه كان مكلفا بمهمة قيادة الجيش والتخطيط للمعارك والحروب منذ أيام ملوكية أخيه جندريق في إسبانيا، كما شاع ذلك عند الرومان<sup>(4)</sup>. هذا وقد لاحظ كورتوا أن التاريخ لم يسجل تفويض هذه المهمة من جنسريق لأحد من قادته العسكريين قبل دخول قرطاجة<sup>(5)</sup> في النصف الثاني من شهر أكتوبر 439م<sup>(6)</sup>.

والراجح أن التنظيم الوندالي قبل دخول قرطاجة لم يكن يختلف في شيء عن التنظيمات الجرمانية التي تقتضي وجود "كونتات" «grav» ou «gerev» يرأسون بضعة "آلات"، وتحت إمرة كل واحد منهم بعض "قادة الألف" Taihun hundafath الذين يستعينون بدورهم "بقادة المائة" Hundafath، و "قادة العشرة" Taihunfath. علما أن كلا من هؤلاء القادة كان مسؤولا عن خليته اجتماعيا كذلك<sup>(7)</sup>.

<sup>1</sup> - Thouvenot R, Compte rendu de l'ouvrage de Courtois, *Hesperis*, XLIV, 1957, 1<sup>er</sup> et 2<sup>ème</sup> trim., p. 172.

<sup>2</sup> - Procopius, B. V., I, V, 18- 19, éd. Dewing, p. 52.

<sup>3</sup> - Schmidt, H. V., op. cit., p. 194.

<sup>4</sup> - Jordanes, *Getica*, Tr. fr., op. cit., p. 251.

<sup>5</sup> - Courtois, V. A., op. cit., p. 246.

<sup>6</sup> - Prosper Tiro, *Chronica*, 1339, M. G. H. A. A., T. IX, p. 477. - Hydatius, *Chronica*, 115, Ibid, T. XI, p. 23.

- Cassiodorus, *Chronica*, 1233, ibid, p: 156 - Marcellinus Comes, *Chronica*, a. 439, Ibid, p. 80.

<sup>7</sup> - Marcus, H. W., op. cit., p. 190 et p. 407.



وعن صفة الجند الوندال، فالمصادر لا تتكلم عنهم إلا وهم على صهوات جيادهم، تحفظهم دروعهم، يحاربون بسيوفهم الطويلة، يقتحمون الصفوف برماحهم وحراهم، مسترشدين بألويتهم الحربية التي تزيناها صور الحيوانات<sup>(1)</sup>. حتى إذا انتهت المعركة قفلوا راجعين إلى معسكراتهم، حيث تستقبلهم النساء والأطفال بهتافاتهن<sup>(2)</sup>.

أما عن الحياة العامة في معسكراتهم، فتتميز بالحيوية والنشاط، ولا نتصورها تختلف في شيء عن المعسكرات الجرمانية والنورماندية التي كانت تضم من بين مرافقها أجنحة مختصة، بعضها لصناعة الأسلحة وعتاد الحرب وصيانتها، وأخرى للعناية بالخيول والدواب<sup>(3)</sup>. حتى إذا هددهم العدو في هذه المعسكرات، أحاطوها بعرباتهم لحمايتها وجعلوا كنوزهم والنساء والأطفال في وسطها<sup>(4)</sup>، ودافعوا باستماتة عن الكل وعن أنفسهم، على غرار ما كان يفعل الاشكوزيون Les Scythes من وراء عرباتهم<sup>(5)</sup>، وبعض الموريين من وراء إبلهم<sup>(6)</sup>.

### 3- الخطط الحربية

أما عن الخطة الميدانية للوندال، فيظهر أنهم فهموا أن أفضل أنواع الدفاع هو الهجوم، فعملوا على قهر أعدائهم بشجاعتهم وإقدامهم<sup>(7)</sup>، وخفة خيولهم وسرعة مقاتليهم، إذ لم يكن من عادتهم منازللة الأعداء مشاة<sup>(8)</sup>. كما فهم جنسريق أن الحرب خدعة، فاعتمد نقض العهود فجأة والمباغثة في

<sup>1</sup> - Sidoine Apollinaire, Carmen, V, 400, M. G. H. A. A., T. VIII, Berlin, 1888, p. 197.

- Procopius, B. V., I, VIII, 27, éd. Dewing, p. 82.

- IDEM, B. V., II, III, 9, ibid, p. 228.

<sup>2</sup> - D'haenens, Albert, les invasions Normandes, une catastrophe? Paris, 1970, p. 25.

<sup>3</sup> - idem, ibid.

<sup>4</sup> - Procopius, B. V., II, II, 8, 2d. Dewing, p. 220.

- idem, B. V., II, III, 22-25, ibid, p. 232.

<sup>5</sup> - Marcus, H. W., op. cit., p. 231.

<sup>6</sup> - Procopius, B. V., I, VIII, 25- 26, et II, XI, 17-19, éd. Dewing, p. 80, et pp. 294-296.

<sup>7</sup> - Marcus, H. W., op. cit., p. 97.

- Carcopino, P. C., op. cit., p. 368.

<sup>8</sup> - Procopius, B. V., I, VIII, 27 éd. Dewing, p. 82.

الهجوم<sup>(1)</sup>.

كما تخبرنا المصادر أن الوندال اعتمدوا على سياسة الحديد والنار لضمان قهر أعدائهم رعبا وذعرا<sup>(2)</sup>، كغيرهم من شعوب العالم القديم. ورغم هذه الخطة الميدانية، وجد ماركوس في شهادة سالفيانوس ما يوضح أن الوندال كانوا أقل الشعوب الجرمانية حبا للحرب، واستنتج أن جنسريق لم يكن ينتصر بحد السيف بقدر ما كان ينتصر بحنكته ودهائه وخدعه<sup>(3)</sup>، وكأنه يحافظ على دماء شعبه، مستغلا بدون ريب نقط ضعف أعدائه.

أما عن خطة الوندال للزحف على إفريقيا فنكاد نجهل عنها كل شيء تقريبا، بسبب ندرة الشواهد النصية والأركيولوجية إن لم نقل بانعدامها وفقدانها بالمرة. إلا أن بعض الإشارات والقرائن تدل أن الجرمان عموما كانوا أثناء الزحف غالبا ما يفضلون التشتت والانتشار في فرق تنهب طولا وعرضا وتبيع غنائمها هنا أو هناك مقابل التزود بالمؤن قبل التجمع من جديد حسب الظروف السانحة والثروات والمواد المتوفرة<sup>(4)</sup>.

ولسنا ميالين إلى قبول هذا الرأي - في حق الوندال أثناء زحفهم بالخصوص رغم قول كورتوا وشميت به<sup>(5)</sup> - لأنه لم يكن في مصلحتهم الانتشار والتشتت في إفريقيا آنذاك، وخاصة قبل حصارهم لمدينة هيبوريجيوس في يونيو سنة 430 م، لأن تفرقهم كان سيشكل خطرا عليهم وهم مقدمون على مواجهة مسلحة ضد أعدائهم الرومان.

حتى إذا اصطدم الوندال بالرومان، وانهزم هؤلاء، والتجأ بونيفاكوس إلى هيبوريجيوس، وبدأ جنسريق حصار المدينة، كان لابد للوندال من القيام بعمليات عسكرية لقطع الامدادات عن المحاصرين. فانقطعت الطرق وانتشر الباربار في البلاد وشتت الحركة في عموم إفريقيا آنذاك حسب شهادة الأسقف الكاثوليكي كابريولوس Capreolus<sup>(6)</sup> (ق. 5 م).

<sup>1</sup> - Schmidt, H. V., op. cit., p: 204.

<sup>2</sup> - Possidius, Vita Augustini, XXVIII, éd. Weiskotten, op. cit., p. 112.

- Victor de vita, H.P.V., I, 1-4, M G. H. A. A., T. III, I, p. 2.

<sup>3</sup> - Marcus, H. W., op. cit., p. 97.

<sup>4</sup> - Musset, Les invasions, T.I, op. cit., p. 236.

<sup>5</sup> - Schmidt, H. V., op. cit., p. 79. - Courtois, V. A., op. cit., p. 162 et p. 163, n 1.

<sup>6</sup> - Capreolus, Epistulae, I, P. L., LIII, col 845 et ss, d'après Courtois, V. A., op. cit., p. 163, n1.

#### 4- استغلال البنىات التحتية

هذا ولم يكن لهذه القوة العسكرية الوندالية أن تحقق أهدافها في المنطقة أثناء الزحف لولا حسن استغلالها للبنيات التحتية المتوفرة هناك: كالطرق مثلا، والتي من الراجح أن يكون الوندال قد حافظوا عليها، لما كانت تمثله بالنسبة لهم من وسيلة تضمن لهم التوغل بعرباتهم إلى الأمام في اتجاه قرطاج والتراجع إن اقتضى الحال في اتجاه البوغاز من جهة، ولغياب أية منفعة استراتيجية لتهديمها أو تخريبها من جهة ثانية<sup>(1)</sup>. خاصة وأن جنسريق كان قد احتفظ ببعض السفن في البوغاز لضمان حراسته جيدا شعورا منه بأهميته، وضمانا لسلامة ظهره في مسيرته<sup>(2)</sup>، ولم يكن يريد بأي حال من الأحوال أن ينقطع اتصاله بهذه السفن أو يتعذر ذلك على أقل تقدير. وهكذا تكون الشبكة الطرقية في موريطانيا الطنجية بكثافتها — حسب المصادر والمراجع — وارتباطها بالشبكة الطرقية الإفريقية، وبإمكانية استخدام مسالكها على طول فصلي الربيع والصيف على الأقل، ودون كبير عناء، قد لعبت دورا مهما في عملية الزحف الوندالي على إفريقيا الرومانية. وبذلك تكون هذه الشبكة الطرقية الطنجية — بصفتها واحدة من أدوات الحركة والتنقل — قد لعبت دورا مهما في السياسة الإستراتيجية لجنسريق، دورا لا يقل أهمية عن دور الشبكة الإفريقية المبلطة انطلاقا من موريطانيا القيصرية في اتجاه الشرق كأداة من أدوات الغزو والتوغل في المنطقة<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - Musset, *Les invasions*, T. I, op. cit., p. 236.

<sup>2</sup> - اللبار، محمد، *دخول الوندال إلى إفريقيا الشمالية 429-442م*. مرجع سابق، ص. 237 وص. 255.

<sup>3</sup> - نفسه، *الربط البري بين الموريطانيتين، الطنجية والقيصرية*. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، العدد 19، 1994، صص. 123 - 137.

## خاتمة

وهكذا ندرك بعضا من تلك الأسباب الخفية التي جعلت جنسريق يميل إلى الخيار العسكري بهدف فرض الوجود الوندالي بإفريقيا الشمالية. كما ندرك أن هذا الخيار لم يكن نتيجة ميل اعتباطي أساسه التهور والمغامرة بقدر ما كان اختيارا مسؤولا أساسه وضوح الرؤية وحسن التدبير. ذلك التدبير الذي تمثل بالخصوص في اعتماده على الاحصاء كأداة فعالة من أدوات التنظيم والتخطيط بهدف ضبط أعداد العابرين وأعداد الجند القادرين على حمل السلاح تحسبا لكل الظروف والطوارئ./.